عبدالرحمن بن محمد العقيل
الرياض – السعودية
abdul9253@hotmail.com
تصوير: فاطمة عبدالعظيم الضامن

إطلالة على المكتبات الخاصة في القطيف

تعددت زياراتي إلى محافظة القطيف (الخطّ قديماً) بين شهري جمادى الأولى ورمضان من سنة ١٤٣٢هـ، ومكثت بها في زيارات عمل امتدت خمسين يوماً، موزعة بين أسبوع ثم شهر ثم أسبوعين. وقد جعلتني طبيعة تلك الزيارات أتعرف القطيف تعرفاً أزعم أنه واسع في زمن وجيز.

كان لديّ متّسع من الوقت هناك لرصد شيء مما لعلّ كثيراً من القراء يجهلونه، بعد أن تحكّمت بوقتي عندهم، وهو أمر غير يسير في مجتمع قطيفي سخيّ كريم قد يُلزمك فاضل من

فضلائه، ويجرّك إلى مأدبته جرًّا ولا فكاك، فتجد بعد ضيق الإلـزام السعادة والأنس بطيب ما رأيتَ وسمعتَ، فنشرتُ في الفيصل في عدديها ٤٢٣- ٤٢٤، رمضان- شوال ١٤٣٢هـ، مادةً تحت عنوان: (القطيف: العمل التطوعي والتواصل الثقافي)، وأثنّي هنا بحديث يُجلي جانباً من النشاط الثقافي الحضاري لهذه المحافظة الجميلة، وسأثلّث بحول الله باستطلاع مصوّر شامل لمدن محافظة القطيف.

وقد ألمحتُ في استطلاع سابق إلى كثرة المكتبات الخاصة في القطيف، ثم لقيتُ أجمل ترحيب من أصحاب خمسٍ من المكتبات القطيفية الخاصة، الذين فتحوا لي قلوبهم قبل مكتباتهم، وتخلّصت من دعواتهم الكريمة للضيافة التي ستستهلك وقت عملي بالاحتجاج كذباً أحياناً بوجود مواعيد، ولا مواعيد وقتها، فكانوا في غاية اللطف في قبول الاعتذار، وأذكر على رأس هؤلاء فضيلة الشيخ حسن الصفّار، الذي أكرمني مراراً بإهدائي كتباً هي أعزّ عليّ من ألف وليمة، ولا ألتقيه إلا ويذكر فطوراً أو غداءً أو عشاءً، وتلك طبيعة متأصّلة فيه مع كلّ زائر، واتصل بي -جزاه الله خيراً- على كثرة التزاماته (في آخر يوم لي في القطيف من تلك الزيارة الرمضانية)، وعتب عليّ بما يشبه القول: «يعني ستذهب دون أن نقوم بواجبك»، فله أجزل الشكر؛ فقد أخذت واجبي وزيادة.

لقد وصف الشيخ حمد الجاسر -رحمه الله- النشاط الثقافي في القطيف في (سوانحه)، وطرفاً من علائقه الثقافية فيها، فقال: «مدينة القطيف من مراكز الحضارة في الجزيرة، وقد حفلت في العهود السابقة بكثير من رجال العلم والأدب والثقافة. ونجد الأصفهاني صاحب كتاب (خريدة العصر) في القرن الخامس الهجري يترجم لبعض شعرائها، وكذا ابن معصوم في القرن الحادي عشر؛ فقد ترجم في (السلافة) لعدد من أدبائها وشعرائها، ومن أبرزهم جعفر الخَطّي، ولكن عدم تدوين ما يتعلّق بالجانب الثقافي بصفة عامة فيها فيما مضى؛ لانصراف علمائها إلى العلوم الدينية البحتة، كان من الأسباب التي أضفت سُجُفاً على تاريخها الأدبي في العصور الأخيرة بخلاف المهتمين بالمباحث الدينية. ولهذا فليس بدعاً أن يكون فيها بيوت علمية تُعنى بجمع

> لم تعد المكتبات الخاصة حكراً على الأسر العلمية؛ فلا يكاد يخلو حي من مكتبة خاصة ذات قيمة، لكن قل الاهتمام بالمخطوطات بشكل ملحوظ

مدينة القطيف من مراكز الحضارة في الجزيرة، لكن عدم تدوين ما يتعلّق بالجانب الثقافي بصفة عامة فيها فيما مضى؛ لانصراف علمائها إلى العلوم الدينية البحتة، كان من الأسباب التي أضفت سجفاً على تاريخها الأدبي في العصور الأخيرة

المؤلفات في مختلف أنواع العلوم، وقد اطّلعت لدى بعض المثقفين من أهل هذه البلدة على عدد من نوادر المخطوطات؛ منها: مجلد من (مسالك الأبصار) لابن فضل الله العمري يحوي أخبار الشعراء، وأجزاء من (الخريدة) صوّرتُ صفحات من أحدها، وبعثت به إلى الدكتور عبدالوهاب عزّام، الذي كان من المشاركين في نشر الكتاب، وعلمتُ أن هذا الجزء أهداه الشيخ خالد الفرج إلى مكتبة الشيخ محمد سرور الصبّان. ومما اطلعتُ عليه من مكتبة آل الجِشّي، وهي من الأسر العريقة في تلك المدينة، مجموعة من المخطوطات، منها نسخة قيّمة من كتاب (سلافة العصر) لابن معصوم الموسوي، وهي نسخته الأصلية، وفي طرّتها ختمه، وكتابات بخطه... وقد عجبتُ حين رأيتُ أحد أدبائها، ويدعى أحمد المصطفى، يقتني كتاب (منهاج السنّة) لابن تيمية، فقلت له مستغرباً: ألا تعرف أن هذا الكتاب يردّ على أصحاب مذهبك؟! فقال لي: أعرف هذا، ولكنني أبحث عن الحق مع مَن كان. وممن توثّقت الصلة بيني وبينه من أهل هذه المدينة: عبد رب الرسول الجِشّي، ومحمد سعيد المُسْلِم، وعبدالله بن إخوان، وعبدالله بن نصر الله، وحسن الجِشّي، وكان من ألطف مَن عرفتُ في هذه البلدة، وأوسعهم اطلاعاً على الثقافة الغربية؛ فقد أجاد اللغة الإنجليزية، حيث كان موظفاً في شركة (أرامكو)؛ مما مكّنه من مواصلة الاستفادة والاستزادة من المعرفة»[1].

لقد مضى على كلام الشيخ حمد -رحمه الله- سبعة وستون عاماً تقريباً، ومكتبات القطيف الخاصة اليوم تفوق تلك الصورة التي رآها بمراحل على الرغم من كل حالات عدم الاستقرار التي تمرّ بها هذه المحافظة. ولم تعُد المكتبات الخاصة حكراً على الأُسَر العلمية؛ فلا يكاد يخلو حيّ من مكتبة خاصة ذات قيمة، لكن قلّ الاهتمام بالمخطوطات بشكل ملحوظ، والمهتمون بها اليوم قلّة يعدّون على أصابع اليد الواحدة، ويأتي على رأسهم الشيخ حبيب آل جميع رئيس تحرير مجلة (الساحل) التاريخية القطيفية.

ولن يضر الحُسن القطيفي وجود بعض العقبات المزعجة؛ فقد سمعتُ بمكتبة في القطيف يُقال عنها: إنها من كبرى المكتبات في الخليج(!!!)، فتملّكني الفضول بغية الوصول إلى تلك المكتبة (الكبرى)، وكان تواصلي الهاتفي المتكرر مع ابن صاحب تلك المكتبة؛ ذلك الابن الذي تعامل معي بتسويف غريب مقصود، تمنّيت معه لو قال لي: إننا لا نستطيع، ظروفنا لا تسمح بزيارة المكتبة!!. وبعد عدة اتصالات عزّت عليّ نفسي أن تحمل هذه المماطلة التي لا معنى لها؛ فعزفت عن الاتصال والتطلّع إلى تلك التي يُقال عنها: إنها من كبرى المكتبات في الخليج.

ولما سمع الشيبة المليح أبو سيبويه محمد علي الناصر شكايتي المرّة من ذلك قال قبل ولوج ثَبج مكتبته ببرودة المليح: «على كل مَن يريد أن يبحث عن شيء أن يتحمل، ويصبر، ويتعب، ويبذل جهداً كبيراً كما قال الشاعر: (فما انقادت الآمال إلا لصابر)... فلا تقنط وتيأس وتقول هذه آخر محاولة، كرّر العودة مرّةً وأخرى: (مَن أكثر قرع الباب يوشك أن يُفتح له)، وإذا لم تتّخذ هذا الأسلوب فلن تعمل شيئاً. بعضهم يمتنع عن إطلاع الناس على مكتبته، ولعلّ له سبباً؛ فلا نستطيع أن نحكم بخطئه قبل أن نعرف الأسباب، لكنني أرى أن الأفضل فتح الطريق في هذا المجال؛ لأنه نشر ثقافة وتوثيق ومعرفة بالإخوان وتواصل. ولذلك اسمع مني ما يخصّني، كاد الدور الأول كله من بيتي هذا يصبح مكتبةً، وهذا الأمر اضطرّني إلى تقسيم المكتبة ثلاثة أقسام، موزّعة على ثلاثة أدوار: القسمان في الدورين الثالث والثاني لا سبيل إلى الوصول إليهما الآن حيث يفتقران إلى الترتيب، ويصعب عليّ أنا الاستفادة مما فيهما لما ذكرت لك. يبقى القسم الأول فهو مفتوح أمامكم، وعلى الرحب والسَّعة، وإن شاء الله تزورونا زيارةً خاصةً وقد رتّبنا المكتبة كلها، وأما الآن فتفضّل

يا حبيبي لما هو متاح لك، وزارتنا البركة، وزارنا الخير، ووجهك المبارك هذا نوَّر علينا اليوم واجد، تفضّل يا حبيبي».

أما الصديق الخلوق عليّ معتوق الحرز، فله رأي صريح؛ إذ قال: «هناك مكتبات كثيرة في محافظة القطيف مثل مكتبتي في الحجم وأكبر، ولكنك لن تجد وسيلة للوصول إليها؛ فأصحاب تلك المكتبات تملّكهم الهاجس الأمني الذي بقي زمناً طويلاً مُضيِّقاً على الكتاب الشيعي، وما زال مستحوذاً عليهم على الرغم مما حصل من انفتاح رحب من الدولة مع الشيعة وكتبهم، ولك أن تقول: إنهم أصيبوا (بالاستصحاب المزمن)، الذي سيبقى على ما يبدو معهم إلى آخر حياتهم».

وتأكيداً لكلام الحرز أذكر حادثةً مزعجةً في هذا الشأن من زيارتي الثانية القطيف التي استمرت شهراً؛ فقد ذكر لي أحد أحبابي القطيفيين مكتبة تجارية تُباع فيها الكتب الشيعية بتاروت، وحدّثني عن تميّز كتبها، فلما وصلت إلى تلك المكتبة بعد عناء وجدتها أقرب إلى القرطاسية، فأبديت لمن يعمل فيها تعجّبي مما سمعت عن تميّز مكتبتهم، وأن لا شيء فيها يطابق ما سمعت، فقال: بل الذي سمعته صحيح، لكن في فرعنا الثاني، فوصف لي وصفاً يدير الرأس، وزوّدني ببطاقة للاتصال بهم إذا أضعت الطريق، ولما تأكّدت من ضياعي بعد وقت ليس بالطويل اتصلت برقم المحمول المدوّن في الكرت، وهو رقم صاحب المكتبة الذي يكون دائماً في الفرع الزاخر بالكتب، فسألته: هذا رقم المكتبة الفلانية؟ فردّ بالإيجاب قبل أن يلحظ غرابة لهجتي عن المنطقة، فطلبت منه تأكيد وصف الطريق؛ لأنني من خارج المنطقة، وأرغب في شراء بعض الكتب، وقد أرسلني الإخوة في فرعكم الفلاني، فقال مرتاباً متلجلج اللسان: ما الذي تريده من الكتب وأنا أختصر عليك الجهد؛ فإن كانت عندنا أخبرتك؟ قلت: لا عناوين بعينها، وإنما أريد زيارة المكتبة، وأخذ ما أحتاج إليه بالمشاهدة والفحص، وعندي قائمة نسيت إحضارها. فردّ: أنت غلطان، هذه ليست مكتبة، وأغلق الخطّ في وجهي. فأعدتُ الاتصال عليه مراراً فلم يردّ، وأدركتُ سبب تخوّفه مني!. فبقيت ضائعاً نحو ثلاث ساعات، أدركتُ بعدها أنني أدور في حيّ واحد لا أخرج منه، ولا أعود إليه، وأنا لا أدري، وظننتُ أنني أخرج من حيّ وأدخل آخر؛ لأن الأحياء متشابهة بسبب سوء التنظيم، والأنكى من هذا أنني أدور طوال الساعات وأنا على بُعد خمسمئة متر على الأكثر من المكتبة. ولما تعبتُ، وأُغلقت المحالّ، سألت أحد المارّة عن المكتبة الفلانية، فقال: بعد أول تقاطع أمامك، يأتيك على اليمين شارع صغير (زنقة) بعرض أربعة أمتار أو خمسة، ادخله تجد المكتبة على يمينك (وأكّد لي بلهجته القطيفية المليحة وتمطيطها: بِتْشُوفِتّهَا آوَّلْ ما تَدْخِل)!!. وحقًّا لما وصلت شِفْتِتّهَا وقد أغلقت أبوابها، فانتابتني حالة هستيرية، وكرّرت اتصالاتي على صاحب المكتبة لعله يرد،

وفي الزيارة الثالثة (الرمضانية) مررتُ مصادفةً بالفرع الصغير، فتوقفت عنده، ووجدتُ فيه شخصاً آخر غير السابق، فسألته: أنت صاحب المكتبة؟ قال: لا، أنا أخوه الكبير. فدار بيننا حديث طريّ، وأخبرته بفعل أخيه، فتعالت الضحكات، وبالكرم القطيفي حاول أن يسترضيني بخاتم ثمين أخرجه من خنصره ليضعه في خنصري، ولم يردَّه إلى مكانه إلا بعد أخذ وردٍّ وأيمان. ثم التقيت أخاه الذي ماطلني في زيارتي السابقة، وكان في غاية الفضل معي والتلطّف.

المهم، لدينا هاهنا مادة لا أدري كيف سيتّسع صدر مجلة الفيصل لنشرها مع هذا العدد الكبير من الصور، وكلّ ما هنا نتيجة زيارات وحوارات مع أصحاب تلك المكتبات الكرام، وملاحظات سجّلتها في وصف مكتباتهم الثرية، فجعلتها على هذا الشكل مراعاةً لترابط السياق في توصيف مترابط المبنى والمعنى كأنك معي في تلك المكتبات، وأجده أكثر انسجاماً وتسلسلاً من (سين وجيم).

> أبو سيبويه: على كل من يريد أن يبحث عن شيء أن يتحمل، ويصبر، ويتعب، ويبذل جهداً كبيراً كما قال الشاعر: (فما انقادت الآمال إلا لصابر)

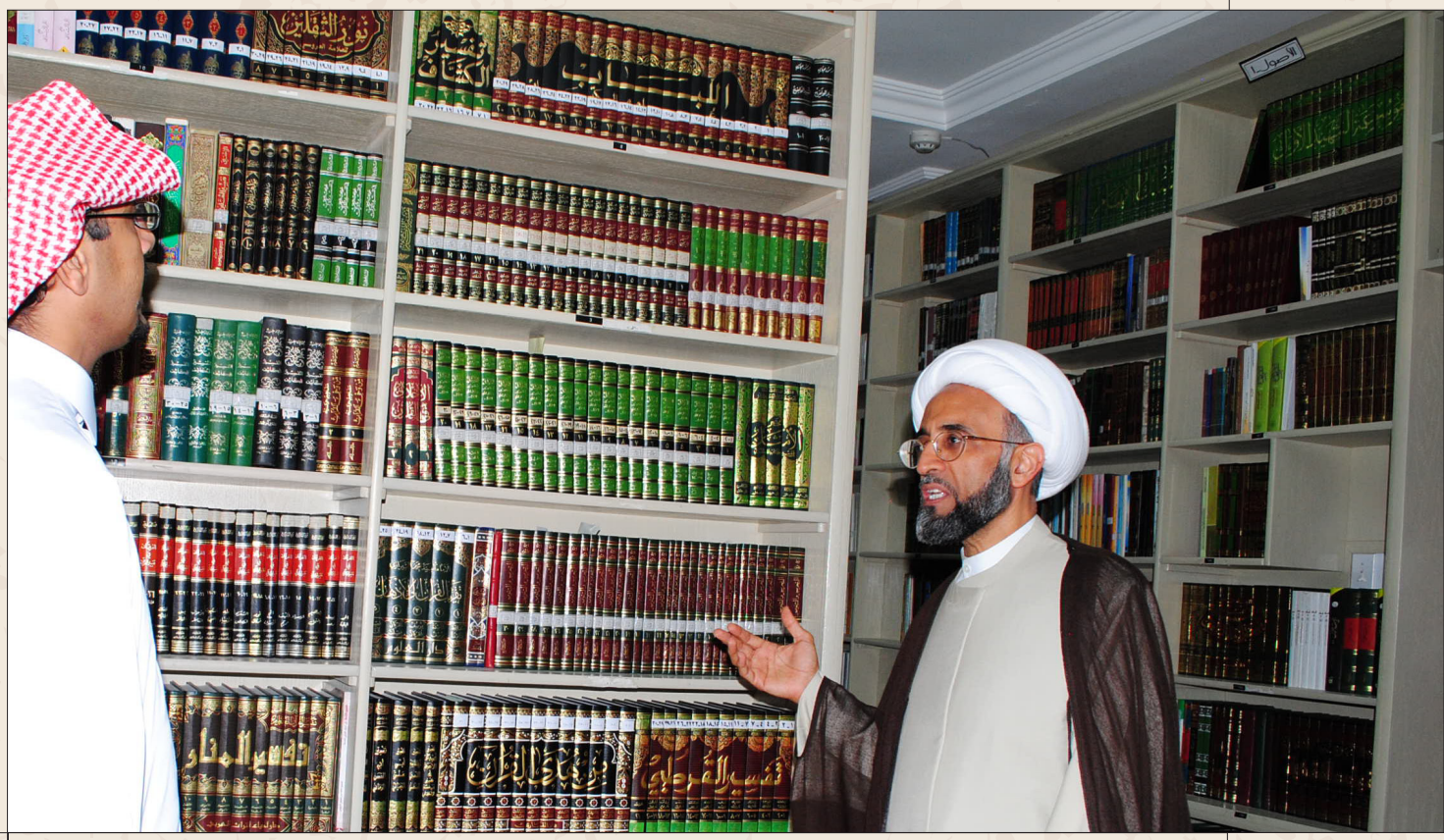

مكتبة الشيخ حسن بن موسى الصفّار

في محافظة القطيف (في مدينة القطيف نفسها) مكتبتان إن وصلتَ إليهما كفتاك عن مكتبات محافظة القطيف؛ أولاهما (المكتبة القطيفية) لصاحبها السيّد عبّاس الشبركة، وهي مكتبة متخصّصة في الكتاب القطيفي تأليفاً وتحقيقاً وترجمةً، وتضم أكثر من ثلاثة آلاف عنوان على ذلك التخصيص، وقد تحدثت عن هذه المكتبة في المقال السابق، ولا حاجة إلى إعادة الكلام[٢].

وأخراهما مكتبة الشيخ حسن بن موسى الصفّار، وهي ليست من أهم مكتبات محافظة القطيف الخاصة، بل أهمها قاطبةً، وأُولى مكتباتها؛ لعدة مزايا؛ منها: أن منشئها الشيخ الصفّار أتاحها للباحثين يرتادونها من دون الحاجة إلى تنسيق سابق على امتداد العام من الثامنة صباحاً إلى الواحدة ظهراً، ثم من السابعة إلى العاشرة مساءً، وفيها موظفون يقومون على خدمة الباحث، إضافةً إلى توفير أجهزة الكمبيوتر للباحثين، وخدمة الإنترنت، وآلات التصوير، والكتب الإلكترونية، إضافةً إلى ضيافة الباحث بالشاي القطيفي البارع الذي يُعدّ باستخدام السماور العراقي.

والمكتبة أيضاً في نمو مستمر؛ إذ تتزوّد بالكتب من دون توقف، ثم المكتبة منتقاة بعناية من حيث أجود الطبعات، والشمول الموضوعي لمحتوياتها؛ فصاحب المكتبة طالب علم على ثقافة عالية، ودراية واسعة، ومتابعة مستمرة لأهم الكتب التي يختارها بنفسه، ويندب مَن يحصّلها من المكتبات داخل المملكة وخارجها. والمكتبة أيضاً

مرتّبة موضوعياً، ومفهرسة آلياً.

في مساحة كبيرة بطول الدور الثاني من مجلسه العلمي رتّبت دواليب الكتب التي ترتفع إلى السقف، وبلغ عدد الكتب يوم زيارتي إليها قرابة ١٠ آلاف عنوان، موزّعة في ١٢٦٥٨ مجلداً في جميع المجالات الدينية والثقافية والعلمية، وقد وقفتُ فيها على ما يقرب من ٥٣ تفسيراً للقرآن الكريم من تفاسير الشيعة وأهل السنة، وبعض تفاسير الزيدية والإباضية، وأكثر من ٥٦ مصدراً من مصادر الحديث الشريف، إضافةً إلى عدد كبير جداً من الدراسات الفقهية والفقه المقارن ومصادر الفقه لجميع المذاهب الإسلامية، وكتب العقائد، والسيرة، والتاريخ والتراجم، والأدب، والعلوم الاجتماعية، والثقافة العامة، إضافةً إلى الموسوعات العامة والمتخصصة والدوريات التي تصدر داخل المملكة وخارجها وتصل أعدادها إلى المكتبة بشكل دوري. ويسعى الشيخ حسن إلى تجهيز مكتبة متخصّصة للأطفال.

المكتبة مكتبة خاصة أصلاً، لكن صاحبها -كما قال- لا يؤمن باحتكار العلم؛ لذلك فهي مفتوحة لأيّ شخص من المنطقة أو خارجها يريد أن يستفيد منها طوال أيام السنة، باستثناء أيام الجمع. وقد صرف صاحب المكتبة اهتمامه في إنشائها لأجل المعرفة؛ لذلك لم يهتم بالمخطوطات والنوادر كما يقول، وإنما بقي لديه عدد قليل جداً من الكتب القديمة النادرة التي تملّكها في طفولته، منها: كتاب (البلوى في بنات حواء)، الذي تملّكه في ١٣٨٨/٤/٦هـ، وهو في الحادية عشرة من عمره، وكتاب (روح الدين الإسلامي) لعفيف عبدالفتّاح طبّارة، الذي تملّكه في ١٣٨٨/٣/٩هـ. ولا تخلو المكتبة من كتب عليها إهداءات مؤلفيها من علماء شيعة وسنة.

تجوّل بنا الشيخ حسن الصفّار في مكتبته، وحدّثنا عنها وعن رحلته مع الكتاب حديثاً شائقاً، نقتطف منه قوله: «قصتي مع الكتاب والمكتبة قصة قديمة، بدأت وأنا في العاشرة من عمري سنة ١٣٨٧هـ حين أخذت في اقتناء الكتب، وتكوين مكتبة خاصة شراءً وإهداءً. ومع مرور الوقت تجمع عندي مئات من الكتب إلى سنة ١٤٠٠هـ، ثم غادرت البلاد، وبقيت هذه المكتبة في القطيف؛ فلم أجد من المناسب تجميد هذه الكتب في مكانها، فشجّعت الإخوة أن يأخذوا منها ما يفيدهم ويتملّكوه، وهكذا توزّع أغلب تلك الكتب. وحينما رجعت إلى البلاد سنة ١٤١٥هـ وجدتُ عشرات من تلك المئات من الكتب، فبدأت من ذلك العام بتكوين هذه المكتبة التي تراها. وبين سنتي ١٣٩٥ و١٣٩٨هـ كنت أتردّد على مسقط عاصمة سلطنة عمان، وأبقى فيها ثلاثة أشهر ونحوها من كل عام للخطابة والتبليغ الديني، فكوّنت لي مكتبة هناك أيضاً، وعندما تركت مسقط في آخر رحلة لي إليها في العام المذكور (١٣٩٨هـ) تركت تلك المكتبة أيضاً للشباب هناك حتى يستفيدوا منها، فكانت هي المكتبة الثانية، وتوزّعت بين شباب مسقط. وحينما ذهبت إلى إيران سنة ١٤٠٠هـ بدأت أيضاً بتكوين مكتبة جديدة ثالثة، وبقيت هناك إلى سنة ١٤٠٨هـ، ثم انتقلت منها إلى سورية، وتركت مكتبتي في إيران ليستفيد منها المشايخ هناك. وفي سورية أسّست مكتبةً كبيرةً أيضاً؛ إذ أقمتُ في ريف دمشق بين سنتي ١٤٠٨ و١٤١٥هـ في منطقة السيدة زينب، فكانت مكتبة كبيرة فيها آلاف من الكتب مفتوحة للمطالعة ويرتادها الناس، ولما عُدْتُ إلى القطيف وزّعت تلك المكتبة الدمشقية على المكتبات هناك، فكانت المكتبة الرابعة. فهذه المكتبة التي نحن فيها الآن هي المكتبة الخامسة التي بدأت بتأسيسها سنة ١٤١٥هـ، وهي كبرى المكتبات التي أسّستها في سني عمري.

مكتبة جامعة

ليس في مكتبة الصفار تمييز بين الكتب، فتجد كتب الشيعة إلى جانب كتب أهل السنة والإباضية والزيدية؛ فليس هنا كتاب محظور أو محدود الاطلاع، ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى أنها في الأساس مكتبة خاصة، وليس عندي كتاب يتناول محظوراً بغرض نشر المحظور، وإنما ما نُشر بغرض الاطلاع والدراسة. ومن حق الباحثين والعلماء، ومن الواجب عليهم أيضاً، أن يطّلعوا على مختلف الآراء حتى يستطيعوا مناقشتها والرد عليها. أما إذا لم نطّلع على ما في كتب اليهود والنصارى والشيوعيين والفِرَق المختلفة فكيف نستطيع أن نناقشها؟!».

وأذكر هنا أن الشيخ حسن الصفّار عالم في طليعة علماء القطيف المعاصرين، بدأ بممارسة الخطابة سنة ١٣٨٨هـ وهو في الحادية عشرة من عمره، وألبس العمامة سنة ١٣٩١هـ وهو في الرابعة عشرة من عمره بتوجيه من الشيخ فرج العمران، وصدر له من المؤلفات حتى اليوم نحو ١١٣ عنواناً، وله نشاط إصلاحي مشهود بإشاعة روح التسامح والتعايش والتنوع الثقافي.

مكتبة الأستاذ علي معتوق الحرز

تقع هذه المكتبة الكبيرة، التي تضم أكثر من ٢٥ ألف مجلد، في مدينة أم الحمام، وقد بدأ مؤسّسها الأستاذ علي معتوق الحرز بجمعها وهو في الثالثة عشرة من عمره سنة ١٣٩٧هـ منذ تعلّقه بالقراءة في السير والأساطير الشعبية؛ مثل (سيرة عنترة)، وحفظ المعلقات، والاطلاع على الأدب الجاهلي.

هذه المكتبة أكبر ما رأيت من المكتبات في محافظة القطيف من حيث عدد الكتب، وقد التهمت من منزل صاحبها مساحةً كبيرةً على رفوف تمتد إلى السقف، وتضم أكثر من ثلاثين تفسيراً من أمّات التفسير السنّية والشيعية؛ مثل: تفسير ابن عاشور، وتفسير السيّد المدرّسي، وتفسير الميزان، والتفسير الأمثل الذي اشترك في تأليفه أربعة عشر عالماً من علماء الشيعة، وغيرها، إلى جانب كتب الحديث، والفقه وأصوله، وأصول الدين، والفلسفة، والعلوم الاجتماعية، والأدب، وباقي التخصصات، وفي المكتبة مجموعة من الدوريات، بعضها مما توقف، إضافةً إلى عدد من سلاسل الكتب.

ومن مقتنياته القديمة كتاب (الهيئة والإسلام) في علم الفلك لمؤلف شيعي بغدادي معمّم، اسمه هبة الدين الشهرستاني، الذي تولّى وزارة التعليم العراقية، وهذا الكتاب امتلكه سنة ١٣٩٨هـ، وهو مطبوع سنة ١٣٨٤هـ.

وبعض الكتب يشتريها -كما يقول- للندرة فقط؛ مثل: كتاب

المحرّر مع الأستاذ الحرز، ويرافقهما عبدالعظيم الضامن

(كشف الأسرار المخفية في علم الأجرام السماوية والرقوم الحرفية)، وهو تحفة نادرة مطبوع على صورته المخطوطة الملونة، على أسلوب الكتب التي كان ينشرها فؤاد سزكين، وهو بحقّ تحفة نادرة لجمال الخطّ والزخرفة المتقنة، وقد نشرته وزارة الثقافة في سلطنة عمان في طباعة ملونة.

وهنا استرسال ممتع لأبي حسين الحرز عن رحلته في شراء الكتب: «أكثر كتبي اشتريتها من معارض الكتب، وبخاصة معرض البحرين، ثم من معارض الكتب في الرياض والشارقة والقاهرة، وأشتري من سورية والأردن. والشراء من الخارج يحميك من جشع الباعة في الداخل؛ فمجموعة الأعمال الكاملة للدكتور زكي محمد حسن، الذي نشرته دار الرائد ببيروت، تُباع في مكتبة المتنبي بالدمام بـ٤٠٠٠ ريال، وقد اشتريتها وقتها من إيران بـ١٠٠ ريال!!. وكان الكتاب الشيعي قديماً -قبل تخفيف القيود عليه- يصلني إلى هنا شراءً بأضعاف مضاعفة، وأذكر أن كتاب (بحار الأنوار) كان سعره أكثر من ٨٠٠٠ ريال في السابق، واليوم يُباع بـ٣٠٠٠ ريال تقريباً، والشهادة لله أن الإعلام تغيّر في أيامنا هذه بشكل إيجابي؛ فزال كثير من المضايقات التي كانت تقيّد حركة كتبنا، ولعلّ من الطريف أن أذكر أن البحرين اليوم إذا

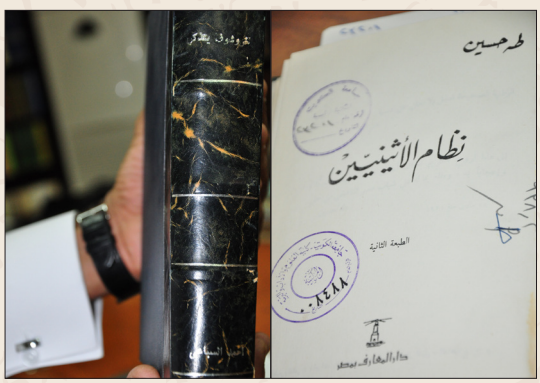

البداية.. سيرة عنترة

مكتبة الأستاذ علي معتوق الحرز غير متاحة للباحثين على الدوام، حالها كحال باقي المكتبات القطيفية، باستثناء مكتبة الشيخ حسن الصفار، لكن يرحّب صاحبها بمن يحتاج إلى الإفادة من مكتبته بعد التنسيق هاتفياً معه، ويأتي إليها كثير ممن يعرفهم صاحبها للإفادة منها، سواء من داخل المنطقة أم من خارجها، من الشيعة والسنّة أيضاً.

(سيرة عنترة) كانت أول كتاب اقتناه الحرز، و(جواهر الأدب) للهاشمي الذي تملّكه سنة ١٣٩٨هـ، قبل ٣٤ سنة، ولا يزال محتفظاً بتلك الطبعة القديمة، ويرجع إليها عند الحاجة على الرغم من صدور طبعات أنيقة ملوّنة منه على امتداد هذه السنوات، ويعتزّ بهذا الكتاب الذي حفظ المعلقات الجاهلية منه في عمر مبكر.

مُنع فيها كتاب يأتي أهلها ليحصلوا عليه من عندنا.

لقد تكوّنت لديّ عادة ملازمة منذ تعلّقت بالكتاب، فلا أدخل مدينة إلا ويكون من اهتمامي السؤال عن أكثر المكتبات تميّزاً فيها، ومنها مكتبات الكتاب المستعمل التي قد تجد فيها ما لا تجد في غيرها، وأحياناً الحراجات؛ فكثير من المتوفّين يكون لديهم كتب كثيرة أو قليلة، ومنها النفيس، وأحياناً يكون صاحب المكتبة من العلماء المعروفين، لكن جهل الأبناء يبدّد كتباً عزيزة في أماكن لا تليق بتلك الكتب؛ كالحراجات مثلاً، وأذكر أن العالم الحجازي أحمد السباعي -رحمه الله- بيعت كتبه بعد وفاته، ويتملّكك العجب العجاب حين تعلم أن كتب هذا العالم الحجازي (في غرب المملكة) بيعت في حراج (مزاد) الدمام (في شرق المملكة)!!. وعندي مجموعة من مكتبة الشيخ السباعي الذي كان يُعنى بتجليدها، ويكتب اسمه أسفل كعب المجلد، اشتريتها من حراج الدمام، وهذا ما دعاني إلى التفكير في وقف مكتبتي بعد موتي ليستفيد منها الناس هنا.

وأذكر شيئاً مقارباً لما ذكرتُ من عدم الاهتمام بالكتب، وبيعها في الحراجات وأرصفة الشوارع؛ فقد كنت في زيارة إلى العراق عام ١٩٩٥م، وتجوّلت بحثاً عن الكتب في مدن ثلاث، هي: كربلاء، والنجف، وبغداد، في أماكن أعرفها، فوجدت كتباً من مكتبة جامعة الكويت تُباع على الأرصفة بسعر بخس، فاشتريت مجموعة من تلك الكتب، وفي بعض بطون أغلفتها الأخيرة جيب بداخله كروت الإعارة الذي سُجِّلت فيه أسماء المستعيرين للكتاب حسب النظام المتّبع في تلك الجامعة، ومن تلك الكتب: (نظام الأثينيّين) لطه حسين، و(هذا العالم الجديد حضارة أمريكا اللاتينية).

وفي عام ٢٠١١م اشتريتُ من شارع الحجاز في دمشق، الذي ينشط فيه الباعة في بيع الكتب المستعملة في الأعياد، كتاباً عنوانه: (علم النفس الحديث)، هذا الكتاب مطبوع عام ١٩٥٢-١٩٥٣م، وتملّكه شخص لا أعرفه، ولا أظنه معروف ثقافياً، اسمه جواد عرفات، أرّخ تملّكه في ١٩٥٥/٦/٢٦م، وكتب فوق توقيعه: (التعيس لن تسعده الأيام)، وجواد هذا كان طالباً جامعياً درس هذا الكتاب في الجامعة، وقد اشتريته إعجاباً بتعليقاته وتتبّعه على كتاب كبير بهذا الحجم من الجلدة إلى الجلدة، و١٦ صفحة بخطّ يده ألحقها به تلخيصاً له.

أما المكتبات الخاصة، فإنني أشتري منها ومشاعري مذبذبة بين فرحي بنادر أقتنيه وحزن بالغ يأخذ في نفسي كلّ مأخذ عندما يتعرّض عالم لضائقة مالية تضطره إلى التفريط في كتبه (وهي روحه). وفي مكتبتي ما يقرب من ثمانين مجلداً اشتريتها عام ١٩٩٦م بنحو سبعة آلاف ريال من مكتبة ودار ابن حزم الواقعة في شارع موسى بن نصير بحي العليا في مدينة الرياض، اشتريتها من مكتبة الشيخ أبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري الخاصة، وأظنك تعرفه أكثر

مني. لقد بيعت تلك الكتب لظروف مالية ألمّت بالشيخ كما ذكر في إحدى مقالاته في صحيفة الجزيرة، والطريف من أمر تلك الكتب أن على بعضها تحشيات بخط أبي عبدالرحمن، وأنا اليوم نادم لأنني لم أستكثر من تلك الكتب التي عليها تعليقاته، وتلك التي عليها إهداءات إليه من مؤلفيها، وهي مكتبة متميزة جداً، فيها نوادر الكتب والمجلات؛ مثل: شعر، والأديب، والمقتطف، وغيرها كثير جداً، وكان أبو عبدالرحمن ابن عقيل يجلّد كلّ ما يدخل مكتبته من الكتب ذات الأغلفة، وهذا ما حفظها مع الزمن».

وألحف الأستاذ الحرز في إثبات حديث عن الكتاب الشيعي يتوجّه به إلى أهل السنّة (السلفيين)، يقول: الإخوة السنة يقرؤوننا من خلال بعض المنشدين، فيضخّمون من شأن هؤلاء مع الأسف، ويسمّونهم بالعلماء، بينما هناك أكثر من سبعين ألف عمامة في قم ممن أخلصوا للعلم، وأفنوا أعمارهم فيه أربعين سنة وخمسين سنة، هؤلاء لا تجد منهم عالماً يسعى في فرقة المسلمين سنّة وشيعة، ولنفترض أنه شذّ منهم ألف خرجوا

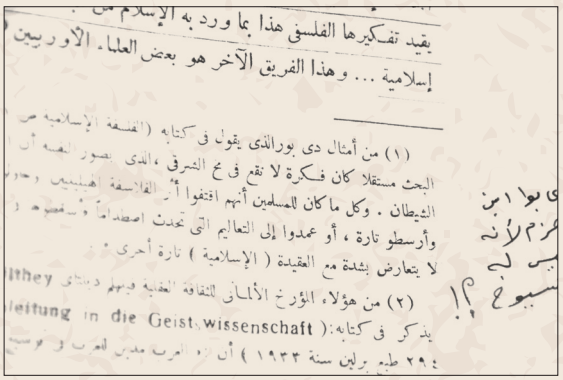
يقيد تفكيرها الفلسفي هذا بما ورد به الإسلام من
إسلامية ... وهذا الفريق الآخر هو بعض العلماء الأوربيين

(١) من أمثال دي بور الذي يقول في كتابه (الفلسفة الإسلامية من
البحث مستقلا كان فكرة لا تقع في خ الشرقي ، الذي يصور نفسه أن
الشيطان . وكل ما كان للمسلمين أنهم اقتفوا أثر الفلاسفة اليونانيين و
وأرسطو تارة ، أو عمدوا إلى التعاليم التي تحدث أصطداماً
لا يتعارض بشدة مع العقيدة (الإسلامية) تارة أخرى .

(٢) من هؤلاء المؤرخ الألماني للثقافة العقلية فيهم دينتي they
يذكر في كتابه: (leitung in die Geist wissenschaft
٢٩٤ طبع برلين سنة ١٩٢٣) أن

تعليقات بخط أبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري على كتاب (الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي) لمحمد البهي، وتوقيعه أحياناً تحت التعليق، وتأريخه بيوم ٦/٧، ونجد في إحدى التعليقات حضور ابن حزم دائماً في عقل تلميذه ابن عقيل

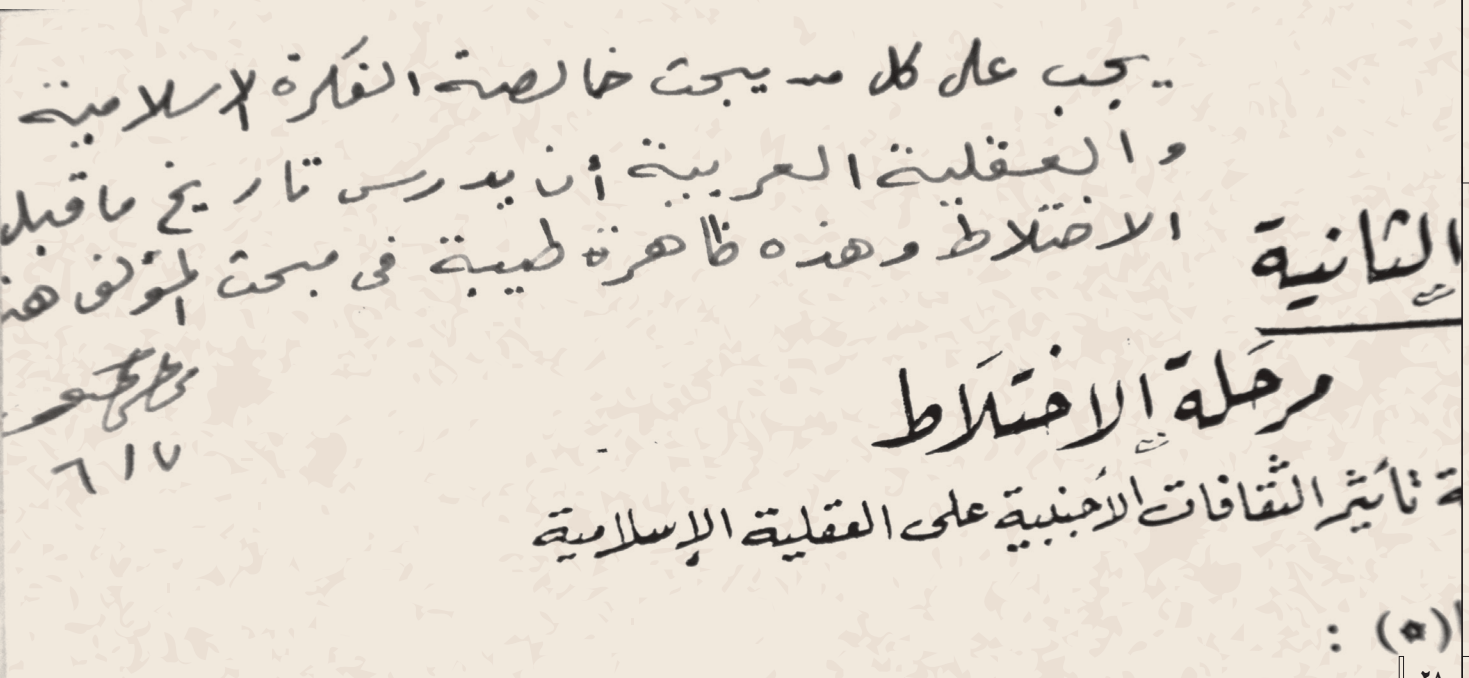
يجب على كل من يبحث خالصة الفكرة الإسلامية
والعقلية العربية أن يدرس تاريخ ما قبل
الاختلاط وهذه ظاهرة طيبة في مبحث المؤلف هذا
٦/١٧
الثانية
مرحلة الاختلاط
ة تأثير الثقافات الأجنبية على العقلية الإسلامية
(٥) :

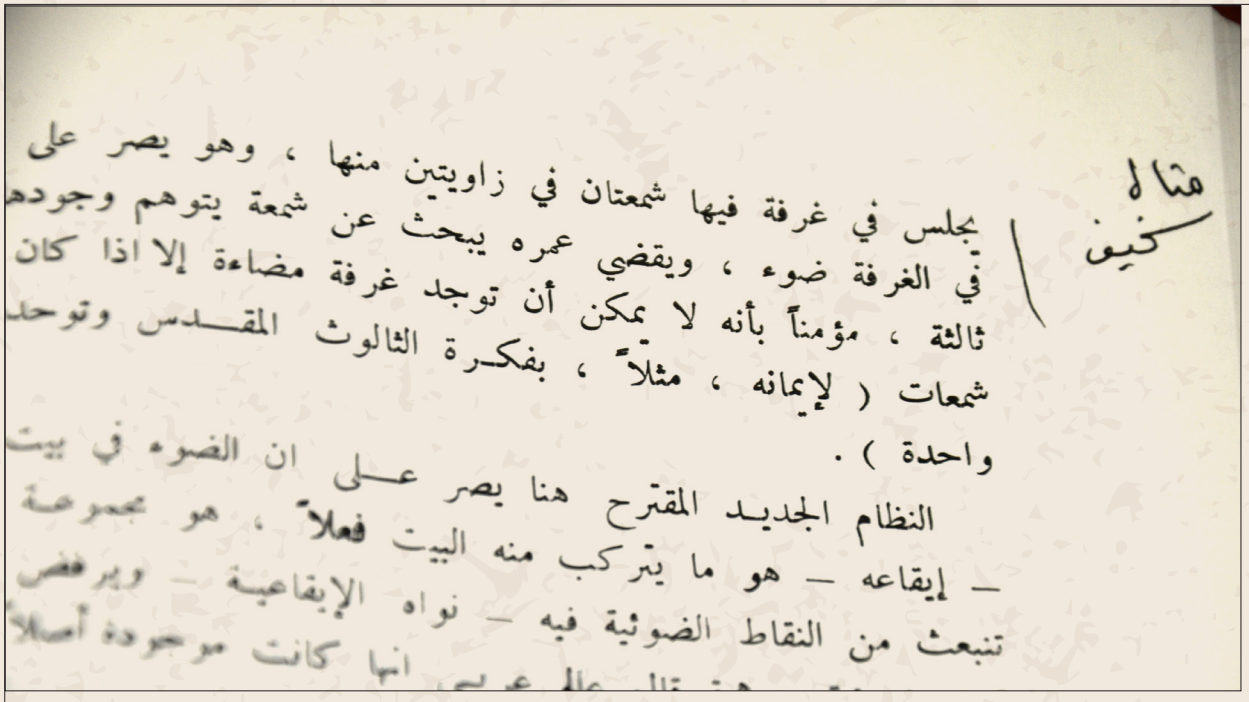
مثال
كيف
يجلس في غرفة فيها شمعتان في زاويتين منها ، وهو يصر على
في الغرفة ضوء ، ويقضي عمره يبحث عن شمعة يتوهم وجودها
ثالثة ، مؤمناً بأنه لا يمكن أن توجد غرفة مضاءة إلا اذا كان
شمعات (لإيمانه ، مثلاً ، بفكرة الثالوث المقدس وتوحد
واحدة) .
النظام الجديد المقترح هنا يصر على ان الضوء في بيت
– إيقاعه – هو ما يتركب منه البيت فعلاً ، هو مجموعة
تنبعث من النقاط الضوئية فيه – نواه الإيقاعية – ويرفض

تعليقات بخط أبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري على كتاب (في البنية الإيقاعية للشعر العربي) للدكتور كمال أبو ديب، ولم تخلُ تلك التعليقات من الحدّة المعروف بها قلمه أحياناً؛ إذ كتب في هامش إحدى الصفحات «تفلسف تافه»، وفي أخرى «مثال سخيف»، كما يمارس التقطيع العروضي في الهوامش عند الحاجة.

عن خط الدراسة في وقت مبكر جداً، فهؤلاء لا يُعدّون في مصافّ العلماء، هؤلاء الذين يخرجون في الفضائيات يضخّم الإخوة السلفيون من شأنهم، فيقولون: «هذا عالمهم»!. هؤلاء المنشدون أقصى جهدهم أنهم درسوا (قَطر الندى وبَل الصَّدى)، وحفظوا كتاباً أو كتباً في (العزاء الحسيني)، واعتلوا المنابر باسم الشيعة للإساءة إلى الشيعة قبل السنّة؛ فهؤلاء لا يمثّلون الشيعة، ولا نعترف بهم؛ فعلماؤنا تربّوا علمياً على عدم الإساءة.

وأخيراً، أشير إلى أن (بحار الأنوار) للمجلسي فيه روايات ضعيفة وموضوعات وخرافات، ونحن الشيعة نعرف ذلك، وقد جمع فيه المؤلف الأحاديث من دون اهتمام ببيان الصحيح من غيره، ومنه يستقي السلفيون تلك الروايات، ولا يعنيهم مع الأسف النظر في كتاب (مشرعة الأنوار) للشيخ محمد آصف محسن، الذي بيّن الصحيح والضعيف في (بحار الأنوار) من أوله إلى آخره، و(ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار) للمجلسي؛ فهو شرح لكتاب الطوسي (تهذيب الأحكام)؛ إذ يأتي في (الملاذ) بالحديث ويقرؤه سنداً ومتناً، ويحكم عليه بالصحة أو الحسن أو الضعف، و(مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول) للمجلسي، وهو شرح لكتاب

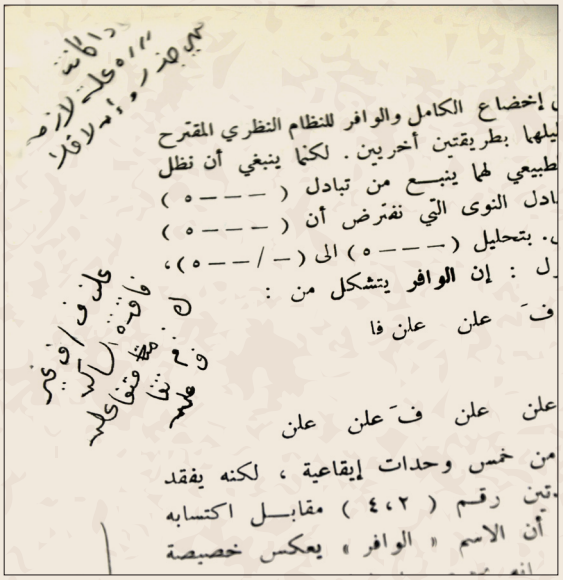
إخضاع الكامل والوافر للنظام النظري المقترح
يلهما بطريقتين أخريين . لكنا ينبغي أن نظل
طبيعي لما ينبع من تبادل (— — ٥)
بادل النوى التي نفترض أن (— — ٥)
بتحليل (— — ٥) الى (— / — — ٥)،
ل : إن الوافر يتشكل من :
فَ علن علن فا
علن علن فَعلن علن
من خمس وحدات إيقاعية ، لكنه يفقد
تين رقم (٤،٢) مقابل اكتسابه
أن الاسم « الوافر » يعكس خصيصة

(الكافي)، ويبيّن صحيح الرواية من ضعيفها. والمؤسف أن معظم السلفيين لا يلتفتون إلى مثل هذه الكتب، لكن يتصيّدون من (بحار الأنوار) الروايات الشاذة، ويقولون: «رأينا في بحار الأنوار».

مكتبة أبي سيبويه محمد علي الناصر ومتحفه

أبو سيبويه هو أحد خطباء مدينة القديح، بدأ الخطابة سنة ١٣٨٢هـ تقريباً وهو في السابعة عشرة من عمره، يأسرك بحلاوة منطقه، وفصاحة لسانه، وكثرة محفوظه؛ فلا تملّه. شغلته هواية جمع التراث عن طباعة أكثر من ثلاثين كتاباً مصفوفة من مؤلفاته، يذكر منها: أعلام القديح، وتاريخ القديح، الذي عمل فيه أكثر من خمس وأربعين سنة في جمع تاريخ هذه المدينة من الكتب وصدور الرجال، وقد عرض عليه بعض الفضلاء طبع كتبه، ومنهم السيّد عبّاس الشبركة صاحب المكتبة القطيفية، الذي عرض عليه تحمل تكاليف طباعة كتبه كلها، إلا أنه متروٍّ في مسألة الطباعة، راكن -كما يقول- إلى مقولة برتراند راسل: «لا تطلب سرعة العمل، واطلب تجويده».

استقبلنا أبو سيبويه في مجلس يفتح على الشارع مباشرةً، وفي ذلك المجلس قطع آثارية (بخاصة الساعات) تقدّر قيمتها وباقي محتويات المجلس بأكثر من أربعمئة ألف ريال، وقد دخلنا ذلك المجلس وبابه موارب، وكذا في باقي الغرف الغاصّة بالتحف الثمينة، والمصاحف القديمة والحديثة، ومخطوطات الكتب، من دون تأمين (ولو بطفاية حريق واحدة).

ولما سألته: ما الخطوات التي اتخذتها للحفاظ على مكتبتك وتحفك بعد موتك؛ حتى لا تذهب نهباً بيد مَن لا يعرف قيمتها؟ قال: سأعدّ لها مكاناً منفرداً. فقاطعته: أنت

مصاحف قديمة

تضم مكتبة أبي سيبويه الواقعة في مدينة القديح أكثر من ثلاثين مصحفاً، يصل سعر بعضها إلى أكثر من ثلاثين ألف ريال أو أربعين، ولعل أبا سيبويه من الأقلاّء الذين يهتمون باقتناء المصاحف القديمة والمخطوطات في المنطقة، ويفسّر العزوف عنهما بأنه قبل ثلاثين سنة كانت المخطوطات متوافرة، وكان المصحف يأتي من تركيا، وتصل قيمته بالكثير إلى سبعة آلاف وخمسمئة ريال، وكانت المبايعة أيسر من اليوم؛ فالمبتلى بحبّ المخطوطات والآثار إذا ضاقت ميزانيته عن الشراء نقداً يشتري بأقساط، وتغيّرت الأحوال اليوم تحولاً كبيراً. ومن المصاحف التي يمتلكها أبو سيبويه:

- مصحف مذهّب كُتب في قصر الملك العثماني، كتبه الفقيه الحاج السيّد عثمان، المعروف بصادق الشويخ القادري، كاتب السراي السلطاني حالي بوستشين سنة ١٠٩٠هـ.
- مصحف مذهّب في آخره: «أُمرتُ بكتابة هذا المصحف الشريف من طَرَف السلطان المحمود في الآفاق، خليفة الله الملك الخلاق، أبي الفتوح والمغازي، السلطان محمود خان الغازي... في شهر جمادى الآخرة لسنة ستٍّ وأربعين خلت من هجرة خاتم النبيين، وأنا أضعف الكتّاب وأحوجهم إلى المغفرة السيّد الحاج محمد المعروف بشَكر زاده».
- مصحف مغربي في محفظة جلدية كبيرة خاصة به معدّة لأن تكون كل صفحة من المصحف منفردة ورقةً ورقةً من دون جمعها معاً.

لا تأمن عمرك ولو ساعة، هل جعلت وصيةً أو وقفاً؟ قال: أريد أن أجعل لهما مكاناً خاصاً، ولا يباع منهما شيء، وقد حفزتني بكلامك إلى التعجيل بهذه الخطوة.. أنا لا أطمئنّ إن لم يبقَ تراثي عندي، وقد عُرضت عليّ عروض كثيرة من أناس جزاهم الله خيراً قالوا: هات مكتبتك وتراثك ونحن نوفّر لك مكاناً مناسباً لحفظه.. ولم أقبل؛ فأنا كما ذكرتُ لك لا أطمئن إلا وكتبي عندي، وأنا أعمل على تجهيز مكان في بيتي هذا يكون متحفاً ومكتبة.

بدأ أبو سيبويه بجمع الكتب والقراءة في الخامسة عشرة من عمره، يعني سنة ١٣٨٠هـ تقريباً. ومن أقدم ما اقتناه من الكتب مجموعة من مصنّفات الخواجة نصير الدين الطوسي من مطبوعات حيدر آباد سنتي ١٣٥٨ و١٣٥٩هـ.

ومكتبته موزّعة على أدوار بيته الثلاثة، التي تختلط فيها طوابع البريد بالمتحجّرات من أشجار، وأسماك، وقواقع، وحشرات صغيرة، وتماثيل، وغير ذلك من التحف، إضافةً إلى الكتب التي يصل عددها إلى نحو عشرة آلاف مجلد. والغريب في أمره أن شراءه الكتب من الداخل، ولم يسبق أن سافر لشراء كتب من خارج المملكة، فينتهز فرص وجود معارض الكتب في الظهران، ثم الرياض، وفي زياراته الحرمين الشريفين.

وفي هذا الإطار يقول أبو سيبويه: من عاداتي القديمة الملازِمة لي (المقايضة)، أو سمّها هوايةً، ولم أعرف في حياتي بيع شيء من مكتبتي ولا تراثي مهما كانت ظروفي، وقد أفادتني كثيراً في تكوين هذه المكتبة والمتحف كتاباً بكتاب، أو أعطي كتباً وأحصل على تحفة، ولا أقايض إلا فيما يستحقّ، وقد مرّ عليّ

زمن آخذُ تحفاً وتراثاً وأعطي كتباً؛ فالكتب ممكن أن تعوَّض، وقد مرّ زمان علينا كانت فيه الورقة من كتاب أعزّ من الكبريت الأحمر، وقبل ثلاثين سنة وأكثر توافرت الكتب وزالت الندرة.

ويقول بشأن استقبال الزوّار في متحفه، وإعارة كتبه: «هذا قليل جداً، وقد بذلت كتبي إعارةً لمن أثق بهم، لكن كان كقول أبي الطيّب:

وصرت أشكّ فيمن أصطفيه
لعلمي أنه بعض الأنام

فمن أخذ من كتبي إعارةً لم يُعد ما أخذ مع الأسف الشديد، وقد استعار أحدهم من عندي كتابين عن العراق وحكوماتها، ومضت سنة ونصف السنة ولم يُعدّهما بعد، وسألته عنهما، فكأنه يخاطبني بلا سمع ولا بصر، فأصبحت أخاف من الإعارة. وعلى الرغم من هذا الموقف وغيره ما زلتُ أرى أنه ليس كل الناس سواءً؛ فإذا وجدت من أثق به من المقربين أو الأبعدين فلن أبخل عليه على الرغم من تجاربي السابقة في فَقْد الكتب في الإعارة».ومن المخطوطات الأصلية عنده:

- شرح حكمة العين، لشمس الدين مبارك شاه البحراني، في ١٤٨ ورقة من ورق أشبه بالرّق الصقيل، بالحرف الأسود ورؤوس موضوعاته بالحبر الأحمر، كتبه السيّد خضر بن جميل العطّار للسيّد محمود الآلوسي الشافعي (مفتي بغداد، صاحب التفسير)، وفرغ من كتابته في ٢٨ رمضان سنة ١٢٣٧هـ. هذا المخطوط كان ببغداد، وانتقل إلى نيويورك، واشتراه أحدهم من هناك، ثم اشتراه أبو سيبويه منه.
- تتمة الحواشي في إزالة الغواشي، شرح الجلالي على العقائد العضدية.

لقد كانت زيارتي قصيرة جداً لعاشق التحف محمد علي الناصر (أبي سيبويه)؛ فلم تكفِ عرض كلّ مقتنياته أو أهمها، فكانت نظراتي عشوائية مذبذبة أردتُ أن أسأله عن أشياء كثيرة، لكن الوقت لم يسعفنا، فضلاً عن حرارة أغسطس والرطوبة الخانقة وقتها؛ لذلك توقفنا وقفات يسيرة مع بعض التحف الأثرية[٣]:

- ساعة أثرية لا اسم لها عند صاحبها، وقد سمّيتها (ساعة المنحنى). هذه الساعة حاول شراءها من أبي سيبويه مدير أحد البنوك -كما ذكر لي- قال له: «تريد فيها خمسين أو ستين أو سبعين ألفاً سأعطيك»، وأردف: «أنا دارس للفيزياء، ولا أدري ما التقنية التي استُخدمت في صُنع هذه الساعة». فاعتذر له، وهي عنده من أثمن التحف.

ثم أخذ في وصف هذه الساعة مستمتعاً بوصفها: «الساعات عادةً لتعمل إما أن تشحن بالكهرباء، وإما أن تكون فيها بطارية، أو يكون فيها مفتاح للتتريس (الشحن اليدوي). وهذه الساعة مصمتة لا شيء فيها من ذلك، إنها ساعة دائرية الشكل تُوضع في أعلى منحدر مخصّص لها، ومن الثابت فيزيائياً أن أيّ شيء دائري (أو كروي) تضعه في أعلى أيّ منحدر أملس (سواء من زجاج أم من خشب أم من حديد) فإنه ينحدر بسرعة، لكن هذه الساعة ما إن تضعها في أعلى منحدرها فإنها ستعمل (ولا تعمل إلا وهي على المنحدر المخصّص لها)، وتبدأ بالانحدار تدريجياً بشكل غير ملحوظ كأنها ثابتة إلى أن تصل إلى أسفل المنحدر ويوقفها حدّه، أو

الساعة العجيبة في مكتبة أبي سيبويه

يوقفها أيّ شيء يمنعها من الانحدار؛ فهي تعمل بحسب طول المنحدر، وكلما طال المنحدر طال الزمن الذي تعمل فيه، ليوم أو يومين في منحدرها الذي يصل طوله إلى ٥٠سم، أو لسنة أو سنتين تبعاً لطول المنحدر، وتتوقف بمجرد أن يردّها شيء، أو ينعدم الانحدار، أو ترفعها بيديك. فهذه الساعة تعمل عقاربها اعتماداً على حركة الساعة نفسها».

- العصا القاجارية: هي عصا مصنوعة من العاج في ١٢٧٩/٢/١٢ شمسية، رُسم عليها بنحت بديع جميع الملوك القاجاريين وبعض النساء بيد الفنان الفارسي بيمان بنجارا برسال، اشتراها أبو سيبويه قديماً من متحف في الدمام بثلاثة آلاف ريال.
- الخاتم التاروتي: وهو خاتم على شكل رأس ماعز، وعيناه من الفيروز، وهو مستخرج من الحفريات القديمة في جزيرة تاروت.
- قنينة زجاجية حمراء من العهد الفاطمي اشتراها من العراق قبل أكثر من عشرين سنة.

عصا الملوك القاجاريين

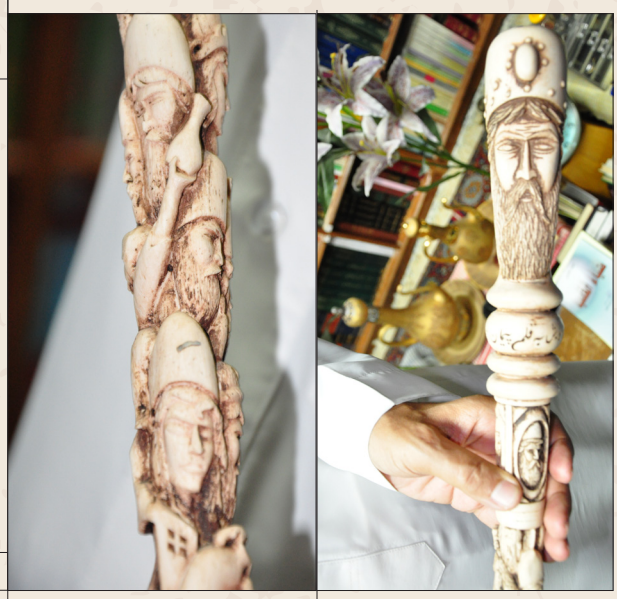

مكتبة الشيخ عبدالحميد الخطّي

الشيخ عبدالحميد الخَطّي -رحمه الله- قاضي القطيف مدة سبع وعشرين سنةً، من سنة ١٣٩٥هـ حتى وفاته سنة ١٤٢٢هـ، وهو رائد الشعر القطيفي المعاصر، له مجموعة دواوين مطبوعة، وكان رجل علاقات واسعة، وتواصل دائم مع المثقفين والأدباء شيعةً وسنّةً، مسلمين ومسيحيين.

أوقف الشيخ مكتبته الواقعة في مدينة القطيف وقفاً عاماً سنة ١٤٢١هـ، وجعل القيّم عليها زكي بن عبدالكريم الخنيزي - زوج ابنة الشيخ عبدالحميد وابن عمه - «على أن ينتفع بها المؤمنون قراءةً يومي الخميس والجمعة، ويكون ذلك بحضور الولد البار زكي بن الشيخ عبدالكريم الخنيزي، والاستعارة ممنوعة، وذلك قربةً لله تعالى قابل القربات، ومضاعف الحسنات، وغافر السيئات، ويكون ذلك وقفاً مؤبّداً حتى يرث الله الأرض ومَن عليها وهو خير الوارثين، وحرّر في يوم الاثنين ١٤٢١/١٢/٢٣هـ».

استقبلني الأستاذ علي بن زكي بن عبدالكريم الخنيزي (ابن القيِّم على مكتبة الشيخ عبدالحميد)، والأستاذ جهاد الخنيزي، وتفضّلا بإطلاعي على مكتبة تضمّ نحو ٢١٦٥ مجلداً، أغلبها من نوادر الكتب.

والمكتبة متاحة للروّاد من العصر إلى المغرب يومي الخميس والجمعة، وتُتاح بأوقات أطول استثناءً للباحثين المتخصّصين ولو

مخطوطات نادرة

أهم مقتنيات مكتبة الخطي نسخة مخطوطة أصلية من (ديوان الحاج أحمد الخَطّي آل نصر الله)، ولم يطبع هذا الديوان بعد، ويقع في أربعة مجلدات كبار، ويعود تاريخ المخطوط إلى سنة ١٣٢٨هـ، وخطّه جميل جداً بخط ناسخه منصور بن علي بن عبدالرحيم بن علي بن عبدالرحيم آل حجّي أهل سيهات، وعليه تملّك كُتب فيه: «قد مَلَكَ هذا الديوان رهين ذنوبه الأقل حسن بن المرحوم أحمد مهدي آل أبي السعود غفر الله عنهم أجمعين»، وتزوّدت أسرة آل نصر الله بصورة من هذه المخطوطة.

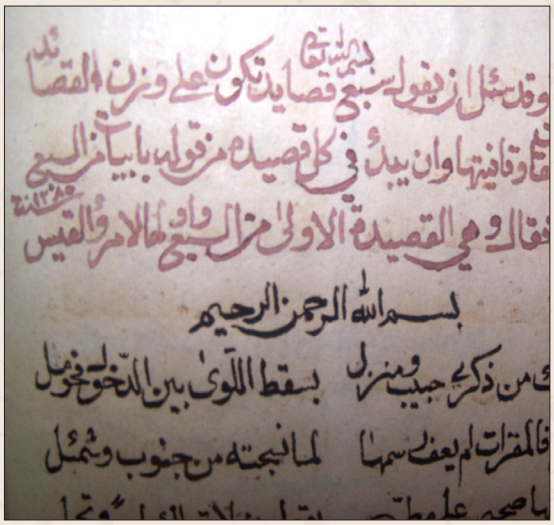

في باقي أيام الأسبوع، ولا إعارة للكتب تنفيذاً للوقفية. والحقيقة أن الوقت المذكور ضيّق جداً لا يفي بالغرض من الوقف، ولعله لهذا لم أجد لدى القطيفيين ذكراً واسعاً لهذه المكتبة.

والمكتبة متنوعة، وتضم مجموعة من نوادر الكتب والمطبوعات الحجرية كما ذكرتُ، ومن تلك الكتب:

- طبعة حجرية من (الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة) ليوسف البحراني، تملّكها في ١٣٦٣/٩/١٣هـ.
- طبعة حجرية من (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) في الفقه، لمحمد حسن الجواهري النجفي، وقد حازها عبدالحميد الخَطّي في ٢٣ جمادى ١٣٦٤هـ.
- طبعة حجرية لأحد الكتب الفقهية للطوسي شيخ الطائفة، دخلت في مُلك الزعيم علي بن حسن علي آل الخنيزي القطيفي الخَطّي سنة ١٣١٨هـ، ثم لعبدالحميد الخَطّي في ١٣٨٨/٩/١٨هـ.

وأكثر من هذه الكتب ندرة مجموعة من الكتب التي درسها عبدالحميد الخَطّي في شبابه، ويعود تملّكه لبعضها إلى سنة ١٣٥٥هـ، ومنها:

- طبعة حجرية من (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) لابن هشام، دخل في مُلكه في ١٧ شوال سنة ١٣٥٥هـ.
- طبعة حجرية من (شرح النظّام في علم الصرف) للحسن بن محمد النيشابوري، تملّكها عبدالحميد الخَطّي سنة ١٣٥٦هـ إهداءً من والده علي الخنيزي، الذي تملّك الكتاب أصلاً سنة ١٣١١هـ. ودرس عبدالحميد (شرح النظّام) في النجف التي بقي فيها ثماني سنوات للدراسة.
- (شرح ألفية ابن مالك) لابن النظّام، تملّكه في ١٣٥٧/٢/٣هـ هبةً من والده في النجف الأشرف، وهو مطبوع سنة ١٣٤٢هـ.
- (المطوَّل على التخصيص) للتفتازاني، تملّكه في ١٣٥٨/١٢/٢٠هـ.

مكتبة الشيخ عبدالقادر أبو المكارم (مكتبة الإمام محمد بن الحسن)

تفصح كلمات الشيخ عبدالقادر أبو المكارم وملامح وجهه عما في قلبه من سماحة وطيب، وهو اليوم في السبعين من عمره، وقد فَقد والده وهو في الثانية من عمره، فانتقلت العناية به إلى أخيه الأكبر الشيخ سعيد وأخواله.

لقد بدأ عشق أبي المكارم الكتاب في سنة ١٣٧٩هـ وهو في السابعة عشرة من عمره؛ إذ نشأ في أسرة علمية كان لها أكبر الأثر في نفسه في الاتجاه إلى الكتاب؛ فوالده طالب علم معروف وصاحب منبر. وكان أثر أخويه الكبيرين الشيخ عبدالمجيد والشيخ سعيد في حياته الثقافية كبيراً جداً؛ فبدأ بتكوين مكتبة في مدينته العوامية تضم قرابة ٥٠٠٠ عنوان، وأتاحها لكلّ مستفيد، ونصب ميكروفوناً على بيته وأعلن منه: «مَن أراد أن يستعير كتاباً ينتفع به في دينه ودنياه وأخراه فليأتِ منزلنا»، فكان أول من يضع الميكروفون على منزل في العوامية.

وتعدّدت رحلاته لشراء الكتب من مكتبة المتنبي في الدمام، ومن مكة والبحرين وسورية والعراق، وتولّى وكالة توزيع بعض الكتب في القطيف التي تصله من الخارج، ومن ذلك كتب سلسلة (منابع الثقافة الإسلامية) التي كانت تصدر في كربلاء قبل حكم صدام، وهي سلسلة كتب علمية ثقافية تبحث في الشؤون الإسلامية، فتصله كتبهم لتوزيعها في المنطقة، وفي مكتبته اليوم مجموعة من أقدم الكتب التي يمتلكها من سلسلة (منابع الثقافة

مصادر المدائح النبوية

من أهم مزايا مكتبة عبدالقادر أبو المكارم أنها تضم مصادر المدائح النبوية التي جمعها أبو المكارم من بطون الكتب، وأكثر من أربعمئة شريط (كاسيت) تضم مدائح نبوية بأصوات شعرائها بالتلقّي المباشر منهم، ومن طريق الإذاعات، ومن هذا كله أخرج أبو المكارم موسوعة كبيرة عنوانها: (موسوعة المدائح النبوية) في عشرين مجلداً، وقد استغرق العمل في هذه الموسوعة أكثر من ثمانية عشر عاماً من العمل الشاق.

يقول أبو المكارم عن جمعه المضني مادة كتابه (موسوعة المدائح النبوية): «لم يكن بحثي مقتصراً على الكتب والدواوين فقط، بل تعدى إلى الصحف والمجلات والإذاعات والتلفاز. ولقد فكّرت مراراً في الاستمرار بالجمع، لكن تشجيع الإخوة الأحبة الأعزة الذين كانوا يسألون دائبين أن أخرجه إلى حيّز الظهور دفعني وحفزني إلى ختم الكتاب وجعله إلى هذا الحد، وإن كان في العمر بقية، وحصلت على المزيد من المديح، الذي لا ينتهي ما دام هناك عرق ينبض بالحب في قلب كلّ شاعر لنبيّه نبي الرحمة، فسأقوم بوضعه في كتاب ملحق إن شاء الله العليّ القدير».

الإسلامية)، وتعود سنوات تملّكه إياها إلى سنوات صدورها في سنوات ١٣٨٣ و١٣٨٤ و١٣٨٥هـ.

وكان من هوايات عبدالقادر أبو المكارم المبكرة تسجيل الخطب والمحاضرات والزواج والتأبين؛ حتى كوّن لنفسه مكتبة سمعية جيدة، ومن تلك التسجيلات محاضرات قديمة للشيخ محمد أمين زين الدين الأحسائي، والمرجعين الشيرازي والخاقاني، والشيخ فرج العمران، وغيرها مما كان يسجّله بنفسه. ويعمل الأستاذ عدنان أكبر أبناء الشيخ عبدالقادر على تحرير تلك المحاضرات في كتاب بعنوان: (مكتبة أبي عدنان السمعية).

هذه إطلالة يسيرة على بعض المكتبات القطيفية الخاصة التي استطعت الوصول إليها، ولأصحاب تلك المكتبات أجزل الشكر على استقبالهم الكريم إياي على ضيق أوقاتهم حينها، ولا أنسى الفنان التشكيلي عبدالعظيم الضامن وابنته فاطمة، اللذين أسعداني برفقتهما في تلك الزيارات، وأتمنى أن يتصدّى أحد الأحبة القطيفيين لعمل ميداني توثيقي في كتاب يرصد المكتبات القطيفية الخاصة مشاهدةً فاحصةً وليس بالسماع، وهي كثيرة تستحقّ العناء، ومثله آخر للمتاحف القطيفية الخاصة؛ فأهل مكة أدرى بشعابها.

الحواشي

(١) من سوانح الذكريات، ٢/٧٩٦، ٧٩٧.

(٢) انظر: مجلة الفيصل، العددين ٤٢٣- ٤٢٤، رمضان- شوال ١٤٣٢هـ، ص٢٦-٢٧.

(٣) بسبب هذه التحف ضيّع عليّ أبو سيبويه إفادته بشأن اسم (مضر) الذي يلفّ مدينة القديح لفًّا؛ فيندر أن تجد محلاً تجارياً بمختلف أنواع التجارة لا يحمل اسم (مضر)، وكذلك مستوصف مضر، ونادي مضر، وجمعية مضر، وغيرها. فلعلي أدعوه هنا إلى إفادة عامة لقرّاء الفيصل، وله منظومة في هذا الشأن حسبما سمعتُ.